

عودة المعارضين اختبار جدي لمساحة الحرية في مصر القاهرة تتمسك بمحاسبة العائدين طواعية لأنهم كانوا أداة تستخدمها أنظمة معادية



العمل السياسي له ضوابط

وربما تشكل عودة بعض معارضي الخارج مازقا للحكومة وتصبح مطالبته بالتعامل معهم بدون استهداف أمضى، وتترك لهم مساحة مناسبة للحركة في الشارع والإعلام، طالما اختاروا المعارضة السلمية ونأوا عن الإخوان.

وأصبحت الحكومة مضطرة للبحث عن صيغة لإحتواء المعارضة لوزال الأسباب التي دفعها للتضييق عليها، وهي الحرب على الإرهاب والإصطفاة الوطني وتوحيد جهود القوى السياسية خلف النظام الحاكم للقضاء على ما تبقى من قوى إسلامية.

ومع ذلك فإن على السلطات المصرية تغيير الصورة الذهنية عنها الخاصة بتكونها تستهدف كل صوت معارض، والأفضل لها الإحتواء للتأكيد على حسن نواياها تجاه القيام بخطوة هادفة للإصلاحات السياسية وفتح المجال العام.

وما يثير مخاوف البعض أن تتحجج الحكومة بعودة معارضين والإفراج الشرطي عن ناشطين وسياسيين للإيحاء بأنها منفتحة وليست لديها أزمة مع المناوئين لها من دون خطوات حقيقية للإصلاح والانفتاح، ما يكرس استمرار المساحة الضيقة في الحريات.

ومستبعد أن يمارس بعض العائدين السياسة بالطريقة التي سبقت خروجهم، لأنهم بحاجة لاستجداء الموقف وقراءة المشهد بعناية وإعادة ترتيب الأوراق، حتى لو جاءت عودتهم بناء على فتاوة بعدم استهدافهم.

ويعني السماح بعودة المعارضين أن الحكومة بحاجة إليهم للقيام بأدوار سياسية لتجديد صورتها في وقت قد تتعرض لضغوط كبيرة من الإدارة الأميركية بسبب ضيق هامش الحريات وعدم الرضا على مستوى حقوق الإنسان في مصر.

عفو مشروط

حملت تلميحات حكومية متفرقة إشارة بانها مستعدة لاستقبال معارضين، والإفراج عن المزيد من سجناء الرأي شريطة أن يكونوا على شاكلة يوسف لا الجمل، وأن المعايير التي تطبقها على المعارضين في الداخل والخارج واحدة.

وأوضح بدر الدين خلال تصريحات لـ"العرب" أن الحكومة المصرية لا تخرع العجلة عند محاسبة المعارضين إذا خرجوا عن القواعد القانونية، فهناك مسائل بعيدة عن حرية التعبير، لافتا إلى أن عودتهم تحمل هزيمة لفكرة المعارضة الخارجية.

السياسي بشكل شخصي من مواقف جمال الجمل قبل فراره إلى تركيا، حيث هاتفه السياسي لنحو عشرين دقيقة، وقت كان يكتب مقالات جريئة في صحيفة التحرير وناقشه مباشرة في القضايا التي يتحدث عنها.

وشرح السياسي للجمل أنه لا يغضب من التقدير إذا كان على أرضية وطنية ويخدم الصالح العام ويناقش القضايا الخلافية بشكل موضوعي متسلحا بالمعلومات.

واستمر الجمل على منهجه، ما أثار غضب الحكومة لأنه تجاهل كلام رئيس الدولة وتوضيحاته، ثم سافر إلى إسطنبول وضاعف من نبرته الحادة، بما تسبب في تصنيفه ضمن الشخصيات المؤيدة لتصرفات تركيا التي تستهدف مصر.

ويرى مراقبون أن التعامل مع خالد يوسف وجمال الجمل يعد تطبيقا عمليا لمقولة السياسي الشهيرة "الجميع سيحاسب" عندما تطرق في إحدى المؤتمرات الشبابية إلى من يستهدفون الدولة من الخارج وتحضنهم دول معادية.

الخارج أنهم إذا ابتعدوا عن القنوات التي تستهدف النظام ولم يشاركوا في تاليب السراي العام عليه، تصبح عودتهم مرحبا بها.

عملية غريبة

يستفتني متابعون غالبية المقيمين في تركيا من المعارضة المصرية من عدم المحاسبة حال العودة إلى مصر لأنهم تبادوا في العدا، وجرى توظيفهم من قبل الإخوان وأنقرة والدوحة وواصلوا التحريض على الدولة.

وقد غضب الرئيس المصري عبد الفتاح

عبد الفتاح

لا تتوانى السلطات المصرية في التمسك بمحاسبة المعارضين العائدين من الخارج طواعية ما لم تلحق بهم شبهات المس بالأمن القومي أو التعدي على هبة الدولة قبل انخراطهم في المشهد السياسي مجددا، إلا أن الأمر يبدو مختلفا مع أولئك الذين تواطأوا مع جماعة الإخوان، مما اعتبره مراقبون سياسيون اختبارا جديا لمساحة الحرية وحقوق الإنسان في البلد.

واستخدمت شخصيات عديدة لا تنتمي إليها عقائديا للتدليل على سماحتها في مواجهة النظام الحاكم في القاهرة.

وتحمل المقارنة بين موقف يوسف، الذي نأى عن الالتصاق بالإخوان، والجمال القريب منهم، مضمونا حادا للمعارضين المقيمين في دول تكن عداة للنظام المصري، وأنها تتسامح في أي شيء إلا دعم الإرهاب، حيث دعمت المقارنة بإفراجها الأحد عن ثلاث شخصيات معروف عنها مناوأة السلطة بعد وقت من إيداعهم السجن.

وشملت قائمة المخرج عنهم خالد داود رئيس حزب الدستور السابق وإسلام الكلي الصحافي في موقع "درب" اليساري ومصطفى صقر رئيس تحرير صحيفة "البورصة"، وكانوا متهمين بنشر أخبار كاذبة.

أكد رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة إكرام بدر الدين لـ"العرب" أن عودة أي معارضين طواعية لا تعني غض الطرف عن محاسبتها على أفعالها الخاطئة التي ارتكبتها بالمخالفة للقانون، فهناك معايير تحكم تعامل الدول بعيدا عن كونه معارض رأي، فالمشكلة في من قام بالتحريض ضد الدولة وحض على العنف.

ولم يظهر خالد يوسف على الساحة السياسية منذ عودته إلى البلاد منتصف الأسبوع الماضي، لكن بعض المؤشرات تقول إن عودته إلى المشهد ممكنة لحاجة الحكومة إلى معارضة تملأ الفراغ الحاصل حاليا في الفضاء العام وتبدو كأنها تسمح للمعارضين بالحركة.

وأشار رئيس حزب مصر الديمقراطي فريد زهران إلى أن تعامل الحكومة مع يوسف يعني أنها مستعدة لعودة المعارضين، وتضمن لهم الأمان طالما التزموا بالمسارات السلمية في التعبير عن آرائهم، لكن هناك إشكالية لدى بعض الدوائر الرسمية في توصيف المعارضة السلمية ومدى ابتعادها عن مصالح جماعة الإخوان.

وقال زهران إن لـ"العرب" إن الرسائل المباشرة التي تتويج السلطة توصيلها لمعارضين

أحمد حافظ
كاتب مصري

القاهرة - حملت عودة المعارض والمخرج السينمائي المصري خالد يوسف إلى البلاد قبل أيام، وتركه طليقا يمارس حياته بشكل طبيعي، مقارنة بحبس الصحافي جمال الجمل فور عودته من تركيا، رسائل مباشرة بأن التسامح مع المعارضة الخارجية مرهون بعدم التحريض أو مساندة جماعات ساعدت على إحداث توترات داخلية.

وكان لافتا للمنشغلين بالعمل السياسي في مصر أن يصل يوسف من باريس لتلقي العزاء في وفاة شقيقه بمحافظة القليوبية المجاورة للقاهرة، بل ومساعدته لإقامة سمرادق يتلقى فيه العزاء رغم تعليمات الحكومة بمنع التجمعات ضمن إجراءات احترازية فرضتها انتشار فيروس كورونا.

إكرام بدر الدين
عودة أي معارض
طواعية لا تعني غض
الطرف عن محاسبتها

فريد زهران
الإشكال في توصيف
المعارضة ومدى
ابتعادها عن الإخوان

لا تسامح مع الإخوان

لم تنصع الحكومة إلى دعوات حقوقية سياسية بسرعة الإفراج عن الجمل حتى الآن الماضي لتوصيل رسالة بعدم التسامح مع المعارضة المتواطئة مع الإخوان.

واعادت جماعة الإخوان توظيف ورقة المعارضين بالخارج لتاليب دول ومنظمات حقوقية غربية على مصر،

قبل ذلك بأيام قليلة اعتقلت أجهزة الأمن جمال الجمل فور وصوله إلى مطار القاهرة قادما من إسطنبول، بحكم أنه من بين الأسماء المدرجة على قوائم ترقيب الوصول، بعد اتهامه بالضلوع في مساندة جماعة الإخوان والترويج لأفكارها والتحريض على ارتكاب أعمال عنف، والظهور على منصات معادية لتاليب الرأي العام في مصر.

واشنطن - باتت الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة ضد السعودية أمرا معتادا من جانب الحوثيين الذين استولوا على العاصمة اليمنية صنعاء في عام 2014، وذلك بسبب تدخل التحالف العربي الذي تقوده الرياض لدعم الشرعية منذ مطلع عام 2015.

ويبدو أن تكتيف جماعة الحوثي المدعومة من إيران استهداف السعودية في الفترة الأخيرة قد يكلف الإدارة الأميركية الجديدة الكثير، حيث يرى محللون أن الوضع على الأرض لا يزال معقدا، وأن استراتيجية الولايات المتحدة لوقف إطلاق النار وإنهاء النزاع لن يكون لها أي تأثير على الأرجح.

ولا يرى ماركو توليو لارا المحلل الأمني بشركة لوبيك لاستشارات الأمن الجيوسياسي في تقرير بجملته "ذا ناشونال انتربيست" الأميركية أن هناك للحملة العسكرية العربية التي تقودها السعودية ضد الحوثيين.

سياسة إدارة بايدن تزيد نهم الحوثيين للقتال وليس للسلام

مارب وتدعيم حكم الحوثيين في اليمن بهذه الدرجة في أي وقت قبل الآن، في ضوء حقيقة أن الولايات المتحدة التعاون العسكري الذي يهدف لدعم القدرات الهجومية الجوية السعودية.

ماركو توليو لارا
واشنطن حفزت
الحوثيين على تكتيف
استهداف السعودية

وعلى أي حال، لا يعني ذلك القول إن الاستيلاء على المدينة سوف يكون سهلا، فبالرغم من التقدم البري الأخير للحوثيين، ما زالت المدينة صامدة بفضل قواتها القبلية والهجمات الجوية السعودية المستمرة.

وهنا، يعتقد لارا أنه مع أخذ كل هذه الأمور في الاعتبار، سوف يتعين على الولايات المتحدة تكتيف جهودها من الجانب البري، ومن المحتمل أن يتم ذلك من خلال سلطنة عمان.

واعتبر أن الاجتماع، الذي عقد في مسقط بين مسؤولين أميركيين ومعارضين حوثيين يعد جزءا من أسلوب "العصا والجزرة" من جانب بايدين، ولكن حتى الآن لم تظهر سوى "الجزرة".

ومن ناحية أخرى، فإنه في ظل النهج الدبلوماسي لبايدين والتخلي عن الدعم العسكري للسعودية، يحاول الحوثيون، الذين تدعمهم إيران، انتهاك هذه الفرصة بكل ضراوة ممكنة لتكديف البلد الخليجي أضرارا وخسائر حتى يتمكنوا من كسب نفوذ قبل إجراء أي مفاوضات.

وإلى جانب تكتيف هجمات الحوثيين ضد السعودية، هناك جهد مكثف منهم للسيطرة على مدينة مارب، آخر معقل للحكومة اليمنية في شمال اليمن.

ورغم الخسائر الكثيرة التي تكبدها الحوثيون في الأسابيع الماضية، فإنهم لم يظهروا أي إشارة على وقف هجماتهم. وفي حقيقة الأمر فإن الاستيلاء على مدينة مارب سيمنح الحوثيين نفوذا كبيرا قبل المفاوضات نظرا لقربها من العاصمة صنعاء التي يسيطرون عليها، وبصفة خاصة نظرا لما تتمتع به من احتياطات النفط والغاز.

ويمكن القول إنه طالما أن الحوثيين يرون أن تحقيق الانتصار العسكري في مدينة مارب في متناول اليد، فإنهم سوف يواصلون حملة الهجوم البري تجاه المدينة والهجمات ضد المملكة، مع تجنب مائدة المفاوضات طالما لم يحققوا قدرا كافيا من النفوذ.

وببساطة الحال، لم يبدو أنه من الممكن تحقيق الاستيلاء على مدينة

إلى أن الحوثيين رأوا أن تصرفات بايدين يمكن التكهّن بها وأنها دليل على الضعف.

ويرى لارا أنه من المحتمل أن عدم القدرة على التنبؤ بتصرفات ترامب وتجاهله للمساعدة الإنسانية إلى جانب الدعم الكامل الواضح للسعودية من المسائل التي كانت مشار قلق للحوثيين، وربما كانت السبب في التراجع عن التزام الحوثيين ضد السعودية، خاصة في أيام ترامب الأخيرة في منصبه.



شواهد على تصعيد نزاع إيران في اليمن

وتلك الخطوات تمت رغم احتفاظ إدارة بايدين بالمشاركة في المعلومات الاستخباراتية مع الرياض للدفاع عن أمن حليف الولايات المتحدة الاستراتيجي ضد هجمات الحوثيين. وتردد أن مسؤولين أميركيين عقدوا اجتماعا مباشرا مع الحوثيين في العاصمة العمانية مسقط.

وعلى الرغم من اللهجة الاسترضائية من جانب الإدارة الأميركية، لم يكف الحوثيون عن استهداف السعودية، بدلا من الحد منها. ويرجع هذا لاحتمال

شاهد هجمات يومية تقريبا بعامل واحد، وهو التغيير في سياسة الإدارة الأميركية الجديدة تجاه التدخل السعودي في اليمن.

وكانت الولايات المتحدة في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب تمارس حملة "أقصى ضغط" ضد إيران، والتي شملت اتخاذ موقف متشدد ضد الحوثيين. وكانت السعودية، وولي العهد الأمير محمد بن سلمان، يتمتعان بدعم واشنطن ويقدر كبير من حرية المناورة من جانب الأميركيين، ولكن مع انتخاب جو بايدين، تغيرت الأمور.

وكان بايدين أوضح قبل الفوز بالرئاسة أن واشنطن لن تدعم التدخل السعودي في اليمن بعد الآن. وفي حقيقة الأمر، فإنه بعد أقل من شهرين من توليه منصبه، التي تصنف الحوثيين كجماعة إرهابية وأنهى الدعم العسكري الأميركي للحملة العسكرية العربية التي تقودها السعودية ضد الحوثيين.